البناء الفني في رواية الحرب في بر مصر ليوسف القعيد

The artistic structure in the novel The War in the Land of Egypt by Youssef Al Quaïd

د. عقبي صالح

تاريخ الإرسال: 2023/02/19	تاريخ القبول: 2023/02/26	تاريخ النشر: 2023/05/10

الملخص:

يعد البحث في الرواية العربية مواكبة للواقع الأدبي ومعرفة درجة تطورهامقارنة مع الأجناس الأدبية الأخرى، فلم يعد ينظر للزمن والشخصيات بوصفهما خلفية جامدة لابد منهما من أجل صيرورة الحدث بل صار ينظر إليهم كجزء ضروري وحيوي من أجزاء البنية الأساسية للعمل الروائي، وبعد اطلاعنا على رواية "**الحرب في بر مصر** "للروائي" **يوسف القعيد** "لفت انتباهنا إلى عنصري الزمن والشخصياتلمعرفة كيفية اشتغال الروائي وكيف استعملهما، وطرائق رصده للزمن والشخصيات وسرده للأحداث.

الكلمات المفتاحية: الزمن، الشخصيات، رواية، يوسف، القعيد.

Summary

Research in the Arabic novel is an accompaniment of literary reality and knowledge of the degree of its development compared to other literary genres, time and characters are no longer considered as a rigid background to follow the event, but they are considered an essential part of the basic structure of the narrative work, after seeing Youssef Al Quaïd's "The Egyptian Land War" novel, he drew our attention to the element of time and characters to know the work of the novelist, how he used them, his methods of monitoring these two elements and his narration of events.

Keywords: time – characters- novel – Youssef- Al Qaïd.

*** *** ***

المؤلف المرسل: د.صالح عقبي salahokb187@gmil.com

مقدمة:

تعتبر الرواية من بين أهم الأجناس الأدبية التي طغت على الساحة الثقافية محتلة المرتبة الأولى في مجال الأدب، وذلك لأنها تواكب مجريات الواقع وتنوع آلياتها السردية واختلاف موضوعاتها وذلك لارتباطها بالواقع المعاش كسجل يحمل ويعالج مشاكل المجتمع في مختلف مجالاته (السياسية والاجتماعية والثقافية ...)، بحيث سيطرت على ساحة القراءة في عمليات التلقي، لتتمكن شيئًا فشيئًا من تحصيل نصيب كبير من النقد والدراسة.

كما فتحت المجال للتجارب الأدبية فكانت الكتابة فيها أرقى مما دفعها للتطور أكثر فأكثر، ومن بين هذه الروايات الرواية المصرية كرواية عربية عرفت تطورًا و ازدهارًا كبيرًا بظهور روائيين برعوا فيها بمختلف الأساليب المتميزة فكان لها حظًا وافرًا من الدراسة والتحليل.

وهذا ما دعانا للبحث في موضوع يتعلق بالبناء الفني في رواية الحرب في بر مصر للروائييوسف العقيد، واقتصرت على دراسة الزمن والشخصيات أي جزء من البنية السردية للروائي، فما هي رواية الحرب في بر مصر، وكيف وظف الزمن والشخصيات في روايته؟ وما هي الأدوات التي استخدمها الكاتب أو الروائي في نسج روايته ؟

1- الزمن في رواية الحرب في بر مصر ليوسف القعيد:

1-1 زمن القصة:

يحدد الروائي **"يوسف القعيد"** في روايته " **الحرب في بر مصر** المسار الزمني الطبيعي للرواية خصوصًا في سرده لأحداث ضمت الفساد الكبير الذي شهدته مصر في ذلك الوقت حيث عاد الإقطاعيون وأصحاب الأملاك إلى ما كانوا عليه مستعيدين ما حاولت الثورة أن تعيد توزيعه وذلك مثلما حدده الراوي منذ سنة أربع وخمسين حين

عادت إليه أرضه التي سلبت منه فيقول: " كرامتنا عادت إلينا. الأرض التي أخذوها منا سنة أربع وخمسين رجعت ...تمنيت أن أموت ساعتها، في اللحظة التي عملت فيها بصدور حكم القضاء العادل بعودة أرضنا إلينا ..."[1]، و في قوله : " أمس كان يومًا عظيمًا ... منذ سنوات مضت ..." [2] وقوله : " منذ أكثر من عشرين عامًا ... ومن عادتي في الفترة الأخيرة " [3] وقوله كذلك: " ..بداية هذا العام في أحد حقولنا " [4] فالكاتب هنا يسير الأحداث وفق مسار طبيعي وذلك بتحديده للماضي وكذلك الحاضر ويظهر ذلك في قوله : " لا بدو أن قالب الطوب الأحمر الموضوع تحت رأس والدي قد ذاب الأن " [5] وأحيانًا أخرى للمستقبل كقوله : " أملي في الأيام القادمة ستجعلك تدرك حكايتي " [6] .

من خلال ما سبق نستنتج أن يوسف القعيد قد سرد لنا الوقائع والأحداث بطريقة استخدم فيها زمن الماضي فكل الفصول الواردة في الرواية لكن بأسلوب يجعل القارئ يشعر وكأنه يعيش الحدث.

2-1 زمن الخطاب:

يعد الزمن إحدى الإشكاليات التي تواجه الباحث في البنية السردية للرواية، فنجد زمنين للرواية وهما الزمن الطبيعي وزمن الحكاية فالزمن الطبيعي هو خطي متواصل يسير كعقارب الساعة، أما زمن الحكاية فهو زمن وقوع الحدث قياسًا إلى زمن الطبيعي: الماضي البعيد أو القريب المحدد أو الغير المحدد " [7].

يولي السارد عناية فائقة في الربط بين الزمن والرواية، ما أدى إلى القول بأن الرواية هي الزمن ذاته أي الرواية مبنية على الزمن.

استطاع السارد أن يأخذ القارئ من زمنه الحاضر إلى زمن الحدث إذا كان زمن القصة يتمظهر في الأشكال التالية : الماضي المضارع المستقبل فإن زمن الخطاب " هو

الزمن الذي يعطي القصة زمنيتها الخاصة من خلال الخطاب في إطار العلاقة بين الراوي والمروي له " [8] .

3-1 الترتيب الزمني في رواية " الحرب في بر مصر " :

المفارقات الزمنية:

إن التداخل الزمني الذي ينتج عن تكسير خطية السرد، ويلغي التسلسل والترتيب لأحداث الحكاية، ويعرضها بطريقة تختلف تمامًا عن طريقة عرضها في الحكاية يتم من خلال حركتين أساسيتين، نتيجة الحركة الأولى من الزمن الحاضر (حاضر الرواية) أيضًا لكن اتجاهها يكون في المستقبل عن طريق تقنية الاستباق.

وهذه المفارقة السردية تمنح للخطاب الروائي حيويته وفرادته وجماليته فتكون: "إداء مفارقة زمنية توقف استرسال الحكي المتناهي وتفتح المجال أمام نوع من الذهاب والإياب على محو السرد انطلاقًا من النقطة التي وصلتها النقطة " [9].

1-الإستباق: يعد الاستباق نمطًا من أنماط النص، يلجأ إليه السارد في محاولة لكسر الترتيب الخطي للزمن فنجد في رواية الحرب في بر مصر مثالاً على ذلك في قوله: "وقريبًا سيجرون عمليات جراحية للناس في بلدي ..." [10] وقوله: " في هذه الحالة فإن ذهاب ابنها إلى التجنيد قد يؤدي إلى انكشاف سري ..." [11] فهنا الكاتب استبق الحدث بتصور ما يمكن أن يؤول إليه الأمر إذا ذهب ابن زوجته الأخيرة للتجنيد وأنه قد ينكشف سر عجزه الجنسي وكذلك قوله: " وإن لم يخرج مصري من الجيش في هذا التاريخ قد تستبقيه القوات المسلحة ..." [12].

وقوله: " مصري ابن الأرض الطيبة سيرفض كل المناصب التي ستعرض عليه في المدن"[13].

وبهذا يتوغل القارئ في مستقبل الشخصيات لمعرفة بعض الأحداث قبل زمن وقوعها فيحاول استكمال فعل القراءة للتأكد من صحة الخبر.

2-الاسترجاع أو الاستذكار: يعد الاسترجاع من أكثر التقنيات الزمنية السردية حضورًا وتجليًا في النص الروائي، بحيث يقوم السارد بكسر النمطية، وذلك بالعودة إلى أحداث ماضية واسترجاع أحداث سبق حدوثها.

وهو نوعان استرجاع داخلي واسترجاع خارجي.

* **الاسترجاع الداخلي**: نجد في رواية الحرب في بر مصر بعض المقاطع التي تضمنت استرجاعًا داخليًا للأحداث ومثال ذلك قوله: " درجعت بذهني إلى والدي: قبل أن يموت قال لي: حقنا لا بد و أن يعود إلينا ذات يوم، قلت له الغيب علمه عند الله " [14] وقوله: "ترحمت على أيام مضت، كان الليل بطوله لا يكفي لكي أنام فيه " [15] ليعود بعد ذلك لإكمال القصة وهذا واضح في قوله: " أعود لحكاية ابني لم أكن أقدر على البعد عنه لحظة واحدة " [16].

* **الاسترجاع الخارجي**: يمثل الاسترجاع الخارجي استعادة أحداث تعود إلى ما قبل بداية الحكي، حيث يستدعيها الروائي أثناء عملية السرد ونجد في روايتنا مقاطع تمثل لهذا منها قوله: " كرامتنا عادة إلينا، الأرض التي أخذوها منا سنة أربع وخمسين رجعت".[17] وقوله: " بالأمس صدر الحكم بعودة الأرض لنا " [18]، وكذلك قوله " كان عمره أربعًا وعشرين سنة و أربعة أشهر وتسعة أيام هل تكفي ؟ لا أعتقد " [19] .

فنجد الكاتب **يوسف القعيد** يتعمد استرجاع الأحداث الماضية قبل المباشرة في سرد القصة فبدأ في البداية حديثه عن الأرض التي سلبت من العمدة قبل الحديث عن القصة الرئيسية وهي استدعاء ابن العمد للتجنيد وإرسال الشاب مصري للحل محل ابن العمدة.

***الوصف:** نجد في رواية "**الحرب في بر مصر**" أوصافًا لعدة شخصيات و أماكن ومناظر يظهر ذلك جليًا في قوله: " رأيت النجمة أم ذيل وبجوارها عصاتين متعانقتين، وكان النور الذي حل على النافذة أزرق اللون، مشوبًا برمادية ساعة الفجر الموحشة"[20]. وقوله: " كان يخاف دومًا من الخير ... والذي كان يقدر على عمل المستحيلات ..." [21]، وكذلك حين قال: " أما يد العمدة فقد كانت ثقيلة وسمينة ودافئة وممتلئة باللحم ..."[22].

وقوله: " ولكن الدفء في الاسكندرية كانت له رائحة حلوة " [23] وكذلك قوله: " أخذت يد العمدة اللينة والناعمة بين كفي الجافتين المليئتين بالشقوق مثل الأرض الشراقي " [24] .

ويقول أيضا: " وأشار إلى بإصبعه المفرطة " [25] .

ومما سبق نستخلص أن هذه التقنية تساعد كثيرًا في تشكيل الإيقاع الداخلي للنص الروائي، وفي رواية "**الحرب في بر مصر**"، نجد أن الكاتب يوسف القعيد قد تعمد إعطاء وصف لبعض الشخصيات وملامحها وبعض المناظر مما منحه القدرة على التصوير الدقيق للعوامل المساعدة على إبراز الحدث، لدرجة تشعر و كأنك ترى الحدث أمامك .

* **التلخيص:** ويعني تلخيص حوادث عدة أيام أو شهور أو سنوات في مقاطع أو فقرات معدودة، و اختزالها في صفحات قليلة أو أسطو أو كلمات دون ذكر تفاصيل الأفعال والأقوال ونلمس مثل هذا في قوله : "عندما وصلني خبر الحكم قلت: " ليس مهمًا ما رجع ولكن الأكثر أهمية هو ما سيعود في الأيام القادمة " [26]، فنجد أن الكاتب لم يذكر ما هو الشيء الذي يعد أكثر أهمية بل اكتفى بقوله: "سيعود في الأيام القادمة " [27] وقوله: "منذ أكثر من عشرين عامًا ..." [28]، فالكاتب هنا اختر أحداث عشرين سنة في قوله هذا ولم يذكر ما وقع فيها لعدم أهميته.

ويمكن القول أنّ **"يوسف القعيد"** قلما يلجأ لهذه التقنية في هذه الرواية لأنه يعالج قضية حدثت في فترة معلومة وبما أن كل شخصية تروي فصلها من الرواية نجد الأحداث متسلسلة وفي فترة زمنية متتالية.

***المشهد:** هو المقطع الحواري الذي يأتي في كثير من الروايات في تضاعف السرد، إن المشاهد بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق.

وعلى العموم فإن، المشهد في السرد هو أقرب المقاطع الروائية إلى التطابق مع الحوار في القصة، بحيث يصعب علينا دائما أن نصفه بأنه بطيء أو سريع أو متوقف وقد تضمنت روايتنا عدة مشاهدة منها: وقوله " قلت له ندخل في المفيد، رد علي لا يوجد فرق بيننا " [29].

وكذلك قوله: " صحت فيه : كيف هذا ؟ قال بهدوء : السرعة من الشيطان " [30].

وهناك مشهد آخر في قوله: " وضعت القلم، كدت أصيح فيه: إن القانون يعطيه حق الإعفاء، ولكنه قبل أن أفتح فمي، خبط جبهته بيده وقال لنفسخ:

آه كيف نسيت ؟

قال إن له عددا كبيرًا من الإخوة و هو أصغرهم " [31] وقوله: " قال و هو يتجه إلى عنصر الجنود:

- الليلة فقط أدركت ما كان يعانيه أبي طوال سنوات العمر الماضية .

- تقول أباك ..." [32]

يبين الكاتب في المشاهد السابق ذكرها الدور الذي قام به الحوار في تكثيف البعد الدرامي في السرد، و بيان قدرته على إتاحة الفرصة لرسم الشخصيات، وإعطائها المجال لتفصح عن نفسها.

لقد استطاع الكاتب **يوسف القعيد** خلق التشويق لدى القارئ وفتح شهيته على عالم الحكاية من خلال المشهد.

2- الشخصيات في رواية الحرب في بر مصر:

1- أبعاد الشخصية:

***البعد الجسماني:** إن البعد الجسماني في رواية "**الحرب في بر مصر**" قد استطاع الكشف عن حقيقة الشخصيات، فالملامح التي تتميز بها كل شخصية من الشخصيات الواردة في الرواية لها بعد جسماني خاص بها فقد وردت في الرواية بعض الصفات الجسدية لشخصية العمدة نجد ذلك في قول الكاتب: " أخذت يد العمدة اللينة والناعمة بين كفي الجافتين المليئتين بالشوق مثل الأرض الشراقي الخواتم التي تزين أصابعه لها فصوص والفصوص اصطدمت بباطن يدي، أما يد العمدة فقد كانت ثقيلة وسمينة ودافئة وممتلئة باللحم اقتربت من ظهر يده لكي أقبله انغرست شفتي في طيات اللحم " [33]، وقوله أيضا: " مد يده، ربت بها على ظهري، تركها نامت على سلسلة ظهري، يقول لك ثقلها أنها يد من أيام الرخاء الأولى، وأنها سمنت هكذا لأن يدي وأيادي آلاف مثلي لا يكسوها شيء ..." [34] .

كما ورد في الرواية إشارة إلى الملابس التي كان يرتديها العمدة وذلك في قوله: "طلبت من زوجتي أن تعد لي ملابس السفر فأن في الليل أرتدي جلبابًا مثل كل الناس، وإن كان جلبابي من قماش مستور نادر الوجود، ولكنني عندما أسافر والسفر معناه،

ترك البلد إلى أي مكان آخر جسمي بكولونيا وأبح أكثر أناقة من أي أفندي مهما كان منصبه " [35].

وقوله: "لم أصدق نفسي عندما وجدته يجلس ويجمع جلبابه الواسع، والذي يكفي لتفصيل ملابس لي ولأسرتي كلها منه ..." [36].

كما نجد ذلك في وصفه للمتعهد: "عيناه منتفختان من كثرة النوم، في خده الأيمن خطوط حمراء بالعرض ..." [37] .

وقوله: " أخذت ذيل جلبابي الضيق على جسمي "[38] وأيضا نجد وصفا آخر في قوله: "وجه مصري أسمر في لون طمى النيل " [39] وكذا قوله: " ... ولكنني متأكد أن في فم مصري فلجة بين أسنانه ... " [40] وقوله: " في وجهي أكثر من سنطة، عيناي حمراوان على الدوام، من بعيد ترى بياض العينيين لونه أحمر، والجفون بلا رموش، ضاعت في ليالي السعاد الطويلة، أنفي مثل صنوبر المياه المركب بجوار بيتنا ..." [41].

* **البعد النفسي:** كشفت لنا رواية **"الحرب في بر مصر"** عن أبعاد نفسية عديدة تمثلت في الحزن والشقاوة وكذلك السعادة فشخصية العمدة مثلا شخصية سعيدة تنعم بالراحة والطمأنينة ولا يكدر صفوه سوى مسألة إرسال ابنه الصغير للتجنيد لكنه سرعان ما ينتهي منها بإرسال ابن الخفير محل ابنه ومن المقاطع التي تمثل لسعادة وراحةوطمأنينة العمدة قوله: " ونحن الأكابر أولاد الناس الكل يحسدنا..." [42] .

وقوله: " منذ أن جئنا إلى الدنيا والعمدة ابن عمدة ومن نسل عمدة أما نحن فقد خلقنا لكي تكفئ على الفأس العمر كله ..." [43]

لقد جعل الكاتب "**يوسف القعيد**" يقارن بين العمدة والخفير وعائلته فيظهر بذلك الحياة الفارهة التي يعيشها العمدة وحياة البؤس والمعاناة التي يعيشها الخفير وعائلته فنحد ذلك في قوله: " منذ أيام الطفولة ونحن نعرف أن الدم الذي يجري في

عروق العمدة، دم أزرق في لون السماء الملآى بغيوم الشتاء، و أنّ رائحته عطرة، على عكس دمنا نحن الذين نكمل عشاءنا نوما، فهو أحمر زفر ملوث ..." [44] وقوله: عن ابن الخفير: " مصري حياته كانت فصولاً متصلة ومستمرة من العذاب الذي لا نهاية له"[45]. وقوله أيضا: "مصري كان حظه سيئًا"[46]، وكذلك قوله: " وجدت الإجابة في المسافة من بين قصر العمدة الأبيض الضخم والذي يبدو لامعًا حتى في الليل، والعشة التي يعيش فيها أهل مصري، و التي تسمى تجاوزًا بيتًا.

والفارق بين جنة العمدة التي كانت في ضخامة الفيل، وجلد والد مصري المشدود على العظام، لدرجة أن العظام تبدوا وكأنها ستخرج من تحت الجلد بين لحظة و أخرى " [47] .

* **البعد الاجتماعي:** لقد توفرت رواية "**الحرب في بر مصر ليوسف القعيد**" على بعد اجتماعي تمثل في كشف المستوى المعيشي لطبقتين من الناس ومعاناة الفلاحين الذين سلبت منهم أراضيهم لتعطى للإقطاعيين يمثل يوسف القعيد ذلك بحياة العمدة وحياة الخفير وعائلته فالعمدة مع ما فيه من حياة البذح والرفاهية يستغل الخفيل ويرسل ابنه في مكان ابنه للتجنيد مقابل أن يبقى على أرضه للخفير لكن يخلف بوعده بل ويستولي على مستحقات ابن الخفير الذي استشهد في محل ابن العمدة ومن المقاطع الدالة على ذلك قوله: " أتت حكاية التجنيد وقال العمدة لأبي ابنك مقابل بقاء الأرض معكم " [48] وقوله: " سيذهب مضري إلى التجنيد بدلاً من ابن العمدة " [49]، وكذا قوله: " قلت له أننا الفلاحون الذين يسطردون من الأرض ..." [50] وقوله: " في ا لبلد عرفت أن العمدة، بعد ذهابي إلى الجيش ما طل ولم يعطي والدي الأرض، أخذ الأرض منه أولاً بحكم القانون الجديد، ثم سلمه قطعة منها زرعها بنظام المزارعة أو المشاركة ورفض حتى كتابة ورقة بهذا الوضع الظالم على طول الخط " [51].

فالكاتب **"يوسف القعيد"** استطاع من خلال شخصية العمدة وشخصية الحقير وابنه مصري الذي يعد بطل الرواية أن يكشف لنا الحالة الاجتماعية التي يعيشها الطرفين وهو بذلك يمثل لحالة الفلاحين الذين سلبت منهم الأراضي لتعطى للإقطاعيين.

2-الشخصيات الرئيسية:

يتميز **"يوسف القعيد"** في معظم رواياته باختزال شخوص رواياته الرئيسية إلى اثنين أو ثلاث، و هو ما نلمسه في رواية " **الحرب في بر مصر**".

حيث اشتملت روايتنا هذه على ثلاث شخصيات رئيسية هي كالتالي: **العمدة، المتعهد والخفير.**

" إن شخصيات هذه الرواية تنبثق من آفاق ضبابية وكأنها بلا ماض فتنخرط في حركة صراع حول المفاهيم، والقيم والتطلعات وحول العدل والفقر والانتماءات وقبل كل شيء مواصلة البحث عن مصير مجهول في فضاء حرب معدوم " [52].

ونستهل دراستنا بالشخصية الأولى، وهي شخصية "**العمدة**".

1- العمدة: تعتبر هذه الشخصية من أكثر الشخصيات حظًا في الظهور في الرواية، فهو ليس مجرد شخصية أساسية ومحورية تدور حولها الرواية فحسب، بل هو أيضا البطل والفاعل الأساس في الرواية، فالعمدة شخصية مليئة بالتناقضات وتمثل بؤرة الصراع وفي فلكها تدور بقية الشخصيات الأخرى، فالرواية تنطلق منه، وبما أن يوسف القعيد قد اعتمد أسلوب الراوي المتعدد فالشخصية هي تقوم بسرد الأحداث، فنجد شخصية العمدة قد بدأت بالحديث عنمشاكلها، أولها موضوع الأرض نلمس ذلك في قوله:" ...كرامته عادت إلينا، الأرض التي أخذوها منا سنة أربع وخمسين رجعت " [53].

العمدة: شخصية تتميز بالسلطة، وحب الامتلاك على حساب طبقات الفقراء متزوج من ثلاثة نساء، يكن الحب الأكبر لزوجته الأخيرة كونها أصغرهم وكونها الوحيدة أيضًا

التي تعرف بقصة مرضه مؤخرًا وعجزه الجنسي، فكان يبذل المستحيل من أجلها ومن أجل ابنها الذي لا يريد العمدة إرساله للتجنيد " [54].

كما أن **العمدة** شخصية عتيدة وقوية، ورث القوة من أبيه قبل أن يرث حب الزعامة، كما يتميز بالحنكة والذكاء والقدرة على حل المشاكل لكن على حساب الآخرين، وهذا نلحظه حين قام بإرسال ابن الخفير مصري " للتجنيد في مكان ابنه، وقام بخداع الخفير وعائلته ولم يسلمهم الأرض مقابل ذهاب ابنهم مصري في مكان ابنه المدلل، نلمس ذلك في قول مصري على لسان شخصية الصديق : " في البلد عرفت أن العمدة بعد ذهابي إلى الجيش ما طل ولم يعطي والدي الأرض ..."[55].

2-**المتعهد:** وهو الذي يملك حل لكل مشكلة مهما كانت صعوبتها، لكن في الأصل هو مدرس ابتدائي ألقي القبض عليه في قضية رشوة أو تزوير، وفصل من عمله فزيحت عنه صفة المدرس، وبقت له صفة المتعهد، ويبدوا أنه تورط كثيرًا في ظلم الناس من خلال عمله هذا: " عندما يمر الناس ويعرفون أني نائم يقولون بصوت عال نوم الظالم عبادة مع أني لم أظلم أحدًا طوال عمري، حياتي كلها خدمات للناس ..."[56] .

المتعهد: رجل فاسد، يعمل على قضاء حوائج الناس مقابل المال لكن بطريقة ملتوية، حيث أنه يلجأ لتزوير الوثائق و إعطاء الرشاوي لإنجاز العمل، وهو لا يرى خطأ فيما يفعله وليس محرجًا حتى، بل يرى أنه يخدم الناس ويذلل لهم العقبات التي تقف في طريقهم وينجح هنا كعادته وبأساليبه المعهودة في إرسال ابن الفلاح الفقير بدل ابن العمدة لخدمة التجنيد [57] .

شخصية **المتعهد** نموذج لسياسة الانفتاح وما نتج عنها فساد في زمن صار فيه الوصول إلى الثروة أمرًا لا يكاد يكون مستحيلاً، بل لا يتطلب ذلك جهدًا، فقط بعض الذكاء واستخدام الألعاب و الطرق القذرة كافية لتصبح غنيا.

يمكن القول أن شخصية المتعهد شخصية تفتقد للضمير و خاصة حين يتعلق الأمر بحياة مصري ابن الخفير الفقير، فالمتعهد شخص لا يهمه أمر الآخرين اطلاقًا المهم عند هو المال وان كان كسبه يودي بحياة الآخرين [58] .

3-الخفير: شخصية فقيرة استغلت من طرف العمدة، فقر الخفير وحاجته للمال يجعلانه يوافق على مطالب العمدة وبالفعل هذا ما حدث حين عرض العمدة على الخفير ارسال ابنه مصري مكان ابن العمدة المدلل إلى التجنيد حيث قال: " أتت حكاية التجنيد وقال العمدة لأبي ابنك مقابل بقاء الأرض معكم " [59]، لكن العمدة يخلف بوعده و لا يمنح الأرض لهذا الخفير المسكين بعد أن وافق على ارسال ابنه مصري مقابل ابن العمدة للتجنيد "... عرفت أن العمدة بعد ذهابي إلى الجيش ما طل ولم يعطي والدي الأرض ..." [60].

3- الشخصيات الثانوية:

لعبت الشخصيات الثانوية أدوارًا متباينة داخل الرواية فبعضها جاء لحل قضية مصري المعقدة وهما الضابط والمحقق والبعض الآخر جاء يروي ما شهده في هذه القضية وهو الصديق، صديق البطل مصري الذي يروي أحداثًا تخص شخصية مصري وهذا ما سنقف عليه الآن من خلال ذكر شخصية الصديق.

1 -الصديق: هو زميل مصري في الجيش والوحيد الذي يعلم سره، يتحدث الصديق على أقدار رجيله بعد رحيل الزعيم عبد الناصر وبداية عهد جديد في مصر، " لكل جيل قدره، و قدر جيلنا نحن أبناء مصر كان الطموح أكبر من الإمكانية وضعنا الأقدام فلم نجد تحتها أرضًا ورفعنا الرؤوس لنلامس السحاب فاختلفت السماء من فوقنا وفي اللحظة التي وضعنا أيدينا على حقيقة جيلنا تخلى عنا الزعيم ..." [61].

2 -الضابط: شخصية مسؤولة على الجثة، يقوم بتسليم جثة الشهيد مصري لأهله، ليتفاجأ بعدها بالحقيقة، ويطلب منه أهل البلد ابلاغ المركز لينال العمدة عقابه، "... شعرت أن يدي ملوثتان بدم الجثة الموجودة في الصندوق، ... كانت الجريمة من نوع فريد ومبتكر، ليست سرقة أو قتلاً أو حتى تزويرًا في أوراق رسمية، جريمة لم يخترع لها اسم بعد، لأنها لم تحدث من في مصر أو في أي بلد من العالم " [62] .

ومن بين هذه الشخصيات أيضا شخصية مصرية، وهذا لا عني أنه ليس لها دور في الرواية بل الرواية كلها تدور حول هذه الشخصية البطلة غير أنه في هذه الرواية لم يتم منح هذه الشخصية حصة من السرد بل تم التطرق إليه من قبل زميله شخصية "الصديق " .

3- مصري: شخصية من عائلة فقيرة، أجبرته الظروف المعيشية الصعبة على ترك الدراسة بعدما تحصل على شهادة في الإعدادية، وهذه الظروف المعيشية الصعبة أجبرت والده على إرساله للتجنيد بدل ابن العمدة مقابل أن يمنحهم العمدة الأرض.

مصري شاب مفعم بالحياة، فيه الكثير من التناقضات، حب الدنيا والزهد فيها والجرأة والخجل، والخوف والشجاعة، الوجه المسالم والباطن المتفجر، حياته كانت فصول متصلة ومستمرة من العذاب الذي لا نهاية له [63] .

وخلاصة القول أن تقنية يوسف القعيد في رسمه للشخصيات كانت من تجربته الذاتية، فقد التقطها المحيط الذي يعيش فيه لذالك ظهرت شديدة الارتباط بالواقع الاجتماعي.

4- الشخصيات الهامشية:

تندرج هذه الشخصيات ضمن الشخصيات المكملة ذات الأدوار الصغيرة، اقتضاها تطور الأحداث، حيث أنها قامت بملأ الفراغات ولعبت دور الموصل الفني بين عناصر الرواية وقد جاء على لسان السارد وصف لهذه الشخصيات .

1-كاتب حجرة التلفون: وهو كاتب العمدة، شخص يعمل خارج القانون، يشجع العمدة على فعلته الشنيعة بإرسال مهري للتجنيد بدل ابنه "يحثني محاولاً إقناعي أن ما أفعله لصالح الخفير وابنه..."[64].

2-الخادمة: وهي التي تخدم العمدة وأهله " ناديت الخادمة طلبت منها إحضار بعض الماء ... حضرت الخادمة وعلى رأسها صينية نحاسية صفراء ... " [65].

3- الست الكبيرة: وهي زوجة العمدة الأولى يطلق عليها أم الأولاد الكبار، تكرهه و لا تحمل وجوده بسبب زواجه عليها.

4- الزوجة الثانية: وهي زوجة العمدة الثانية وهي الأخرى لا تطيقه " أصابها جرح بسبب زواجي بعدها " [66].

5-الزوجة الأخيرة: وهي زوجة العمدة الثالثة يطلق عليها المرأة الجديدة " إنها ليلة زوجتي الجديدة، ستبقى جديدة إلى أن أتزوج عليها " [67]، وهي في سن أولاده، يميزها عن بقية زوجاته، وهي أم الولد الذي أرسل في طلبه للتجنيد، وهي كذلك الوحيدة التي تعرف سره "إن السر تعرفه واحدة خير من إذاعته بين الثلاث " [68] .

6- ضابط: وهو مندوب القيادة و أحد العاملين في الجيش " حضر علينا لجان من حركة الجيش معهم ضابط قيل أنه مندوب القيادة " [69].

7- أمين السجل المدني: يعمل لدى مصلحة العمدة بطريقة غير قانونية وظيفته استخراج بطاقة تحقيق الشخصية " لو عرفت لكنت تصرفت مع أمين السجل المدني"[70].

8- مندوب التجنيد: شخصية فاسدة وهو متورط مع المتعهد في الكثير من الأمور كما أنه المسؤول عن رسم الخطة لتنفيذ العملية الشنيعة "إرسال مصري بدل ابن العمدة" مراحل التنفيذ، المشتركون في العملية، تكاليف العملية [71]، بالإضافة إلى أنه كان يعمل مشرفًا على المكتب.

9- الخفير النوبتجي: وهو الذي أعطي العمدة دفتر الأحوال و الإشارات التي وردت إلى الدوار" [72].

10- والد العمدة: عيناه كانت كخضرة الحقول وعنده كل شيء سهل " يقول طريق أبو زيد كله سالك " [73].

11- أم مصري: وهي زوجة الخفير و أم البطل مصري وهي شخصية متواضعة تحاول أن تخفي الحزن الذي في قلبها "تناوبت الكلمات والدموع، حاولت أن تضحك ابتلعت دموعها، شوهت وجهها ابتسامة عكرة " [74] .

12- الابن الصغير: وهو ابن العمدة الذي طلب للتجنيد، وهو ابن زوجته الأخيرة، يحبه العمدة أكثر من باقي أبنائه " اشتد حبي لأصغر أبنائي " [75] .

13- الابن الأكبر: وهو ابن العمدة الأول أعفى من التجنيد بموجب قانون أولاد العمدة"[76].

14- الابن الثاني: وهو الابن الثاني للعمدة أعفي من التجنيد لأنه حفظ القرآن وأصبح حاملا لكلام ربه.

15- الابن الثالث: أعفي هو الآخر من التجنيد.

16- الابن الرابع: وهو ابن العمدة أيضا كانت أمه من أحلى نساء البلد وقد طلقها العمدة طلاق سري على الورق فقط وأصبح هو العائل الوحيد لأمه.

17- أخت المتعهد: وهي أخت المتعهد، مات زوجها وتركها صبية مع ولد منه أصبحت أرملة لم يكن لها في الدنيا سوى أخوها المتعهد كما ترك لها زوجها 5 أ فندة .[77]

18- ابن أخت المتعهد: كان مطلوب للتجنيد، حيث عمل المتعهد كل ما بوسعه من أجل إعفائه لأنه ابن أرملة.

19- الضابط الثاني: وهو ضابط كبير في السن شكله ومظهره يوحيان بأن أمامه شهور قليلة ويحال إلى المعاش [78] .

20- جد والد العمدة: كان واحد من العساكر الذين دافعوا عن شرف مصر [79] .

21- زوجة المتعهد الثانية: كانت من نساء البنادر البيض، التي ولدت في أيام الرخاء نتيجة هروب المتعهد تزوجت رجل آخر وهي في ذمته وسافرت معه [80] .

22- مساعد مندوب التجنيد: وهو المسؤول عن استخراج البطاقات الشخصية [81] .

23- العسكري: وهو المكلف بأخذ البصمات للأشخاص.

24- الترجي: وهو الذي يحدد فصيلة الدم.

25- الموظف المسؤول: وهو المسؤول عن استخراج شهادة الوفاة.

26- عسكري المراسلة: وهو الذي يعمل بين مندوب التجنيد في المركز ومنطقة التجنيد الإسكندرية.

27- ضابط: ويعمل على ايصال الملاحظة في الميدان.

28- السائق: وهو جندي له أقدمية في عمله يعرف كل شيء بالإضافة على أنه كثير الكلام " يصر على المشاركة في كل حديث" [82].

29- مساعد المريض: يعمل لدى الجيش وظيفته ممرض وهو أحد الأشخاص الذين أخذوا جثة الشهيد مصري.

30- جندي جريح: وهو جندي وجد ملقى على الطريق وكان يؤدي واجبه الوطني.

31- الرقيب: وهو الذي يضع المهمة للمجندين.

خاتمة:

توصلنا في هذا المقال " **البناء الفني في رواية الحرب في بر مصر للكاتب يوسف القعيد** " الذي عرف الكاتب ببراعة أسلوبه في كتابه الرواية والذي عبر عن بنية النص السردي لهذه الرواية بطريقة مميزة نَخلص إلى نتائج عدة أهمها:

- اتبع "**يوسف القعيد**" في روايته الرجوع إلى الوراء من خلال أهم التقنيات، ألا وهي الزمن وذلك بالانتقال من الحاضر إلى الماضي ومن الماضي إلى الحاضر باسترجاع أحداث مرت بها الشخصيات في الماضي لتوضيح أهم الأحداث الغامضة والمبهمة بالنسبة للقارئ.

- لقد جعل الكاتب النص يبدو في مستواه الظاهر بسيطًا في لغته، وتركيبه وبنائه يتابعه القارئ بمتعة فائقة ودون توقف إلا أن القراءة المتأنية تجعلنا نتبين أن الأمر مجرد خدعة ناتجة عن حنكة الكاتب وتمرسه بالكتابة والهم السياسي والثقافي لبده.

- كما أن "**يوسف القعيد**" استعان بالوصف الدقيق للشخصيات حيث قام بتوظيف كل الحواس كحاسة الشم إذ يوصل الروائح إلى أنوفنا، فيكون السرد لديه مدعمًا بالصوت والصورة وحتى الرائحة.

*** *** ***

الهوامش

[1] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط5، 1991م، ص 7.

[2] المصدر نفسه، ص 7.

[3] المصدر نفسه، ص7.

[4] المصدر نفسه، ص18.

[5] المصدر نفسه، ص7.

[6] المصدر نفسه، ص19.

[7] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، 2003، ص 100.

[8] سعيد يقطين، انفتاح النص الروائي، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، ط3،2006، ص 49.

[9] دورة علمية محكمة، تصدر عن مخبر السرد العربي، مجلة السرديات، قسنطينة، العدد 02، 2008 م، ص 65.

[10] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 16.

[11] المصدر نفسه، ص 15.

[12] المصدر نفسه، ص 69.

[13] المصدر نفسه، ص70.

[14] المصدر نفسه، ص17.

[15] المصدر نفسه، ص13.

[16] المصدر نفسه، ص13.

[17] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 7.

[18] المصدر نفسه، ص 18.

[19] المصدر نفسه، ص 79.

[20] المصدر نفسه، ص 8.

[21] المصدر نفسه، ص 11.

[22] المصدر نفسه، ص 62.

[23] المصدر نفسه، ص 33.

[24] المصدر نفسه، ص 62.

[25] المصدر نفسه، ص50

[26] يوسف القعيد: الحرب في بر مصر، ص 18.

[27] المصدر نفسه، ص 7.

[28] المصدر نفسه، ص 39.

[29] المصدر نفسه، ص 41.

[30] المصدر نفسه، ص 63.
[31] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 84.
[32] المصدر نفسه، ص 87.
[33] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 62.
[34] المصدر نفسه، ص 62.
[35] المصدر نفسه، ص 16.
[36] يوسف القعيد، الحرب في مصر، ص 63.
[37] المصدر نفسه، ص 20.
[38] المصدر نفسه، ص 63.
[39] المصدر نفسه، ص 84.
[40] المصدر نفسه، ص 71.
[41] المصدر نفسه، ص 74.
[42] المصدر نفسه، ص 16.
[43] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 62.
[44] المصدر نفسه، ص 67.
[45] المصدر نفسه، ص 94.
[46] المصدر نفسه، ص 94.
[47] المصدر نفسه، ص 94.
[48] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 91.
[49] المصدر نفسه، ص 64.
[50] المصدر نفسه، ص 95.
[51] المصدر نفسه، ص 95.
[52] عبد الله إبراهيم، موسوعة الغربي، دار الفارس، عمان، الأردن، ط 1، 2005، ص 68.
[53] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 7.
[54] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 15.
[55] المصدر نفسه، ص 95.
[56] المصدر نفسه، ص33.
[57] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 29.
[58] المصدر نفسه، ص 41.
[59] المصدر نفسه، ص 91.
[60] المصدر نفسه، ص 95.
[61] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 88.
[62] المصدر نفسه، ص 88.

[63] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 150.
[64] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 27.
[65] المصدر نفسه، ص 7.
[66] المصدر نفسه، ص 13.
[67] المصدر نفسه، ص 16.
[68] المصدر نفسه، ص 13.
[69] يوسف القعيد الحرب في بر مصر، ص 18.
[70] المصدر نفسه، ص 22.
[71] المصدر نفسه، ص39.
[72] المصدر نفسه، ص10.
[73] المصدر نفسه، ص 11.
[74] المصدر نفسه، ص 108.
[75] المصدر نفسه، ص 13.
[76] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 13.
[77] المصدر نفسه، ص 33.
[78] المصدر نفسه، ص 34.
[79] المصدر نفسه، ص 14.
[80] يوسف القعيد، الحرب في بر مصر، ص 34.
[81] المصدر نفسه، ص 46.
[82] المصدر نفسه، ص 122-123.